الرسالة

تصدرها

جمعية الدراسات القبطية

نيوجرزى – أمريكا

http://home.ptd.net/~yanney/resalah.html

السنة الثانية والعشرون | العدد الثالث: مارس ٢٠٠٣

الخلاص

بين الكاثوليك والبروتستانت والأرثوذكس

د. رودلف ينى

«المفهوم المسيحى للخلاص ليس مجرد وصايا أو تعاليم أو مواعيد. بل هو نزول الله واتحاده بنا. فالمخلص هو الله الذى اتحد بنا ويسير معنا»

الطوباوى القمص بيشوى كامل

على مر العصور اعترف المسيحيون على اختلاف مذاهبهم بالرب يسوع مخلصاً لهم. ولكن ماذا يعنون بذلك؟ كان هذا الاعتراف تعليماً رئيسياً للمسيحيين فى الأجيال الأولى. والكتاب المقدس فى كل من العهد القديم والعهد الجديد يصف الله دائماً بأنه المخلص، وخلاص الإنسان لا يتم إلا بعمله الخلاصى (مز ٣:٧،٨ ؛ ٥:٢٣ ؛ خر ١٢ ؛ اش ٤٣:١١ ؛ ٦٠:١٦ ؛ ٦١:١٠ ؛ عب ٣ ؛ مت ١:٢١ ؛ لو ١:٤٧،٦٨ ؛ لو ١٢:١١ ؛ عب ٣:١٦،١٨ ؛ ٢ بط ١:١)

الله هو المخلص، ولكن كيف؟ هذه هى المشكلة التى فصلت الآن بين الكنائس المختلفة، ولكننا لا نراها كذلك فى القرون الأولى. لأن الآباء فى القرون الأربعة الأولى شرحوا الكتاب المقدس دون أن ينقسموا إلى مدارس مختلفة أو يضعوا نظريات متضاربة للخلاص والكفارة كما نرى الآن، والذى حدث نتيجة لمحاولة فهم الخلاص على أسس عقلية فلسفية، ثم محاولة إثباتها بعد ذلك بآيات من الكتاب المقدس.

تطور مفهوم الخلاص فى الغرب على مر العصور

وحتى منتصف القرن العشرين تأثر مفهوم الخلاص فى جميع الكنائس شرقاً وغرباً، من كاثوليك أو بروتستانت أو أرثوذكس، بالتفكير الغربى الذى نظر إلى الخلاص من ناحيته القانونية – كمشكلة قضائية بين الله والإنسان، ونستطيع أن نلمس بداية هذا التعليم فى كتابات العلامة ترتليان فى أوائل القرن الثالث. فى حين أن الآباء الأولين نظروا إلى الخلاص كعمل الله المحب، بل ومسئوليته إزاء البشرية الساقطة. وفى ذلك يقول القديس أثناسيوس الرسولى: «لأنه مما لا يتفق مع صلاح الله أن تُفنى خليقته بسبب الغواية التى أدخلها الشيطان.. وكان غير لائق على الإطلاق أن تتلاشى صنعة الله بين البشر، إما بسبب إهمالهم أو بسبب غواية الأرواح الشريرة.. وما الفائدة من خلقتهم منذ البدء؟ لأنه كان خيراً لهم لو لم يُخلقوا من أن يُخلقوا ثم يُهمَلون ويفنون. لأن الاهمال لا يعلن صلاح الله بل ضعفه.. لأنه أمر مشين جداً أن يُفنى المخلوق على مرأى من الخالق.» (١)

إلا أن التطور الخطير فى لاهوت الغرب بخصوص فهم الفداء أحدثه فى أوائل القرن الثانى عشر القديس أنسليم أسقف كنتربرى فى كتابه «لماذا صار الله إنساناً». فقد شرح الخلاص –

ليس على أساس الكتاب المقدس – بل على أساس القانون الروماني، وعلى أساس النظام الاقطاعي السائد في عصره. ومع هذا فلا تزال نظريته المعروفة بنظرية «الترضية» تدرس في جميع أنحاء العالم، رغم زوال عهد الاقطاع، وتغير التشريعات والقوانين. ولم تكن نظرية أنسليم سوى تطور طبيعي لتفكير الغرب الذي انشغل بخطيئة الإنسان، واعتبرها إهانة لله واعتداء على شرفه. وقد نظر أنسليم إلى السيد المسيح كبديل للبشرية، وإلى سفك دمه على الصليب كأساس للخلاص إن لم يكن العمل الخلاصي الوحيد، باعتبار أن موت المسيح كان ذبيحة كفارية كافية لترضية الآب عن خطايا العالم كله. لقد دفع المسيح الفدية (مت ٢٠:٢٨ ؛ مر ١٠:٤٥) للآب، وبذلك حصل على الغفران لجميع الخطايا (٢ كو ٥:١٩). وحسب هذه النظرية أصبح التفسير الشائع لقول الرب على الصليب «قد أكمل» – أن الدين قد دُفع، والخلاص قد تم مرة واحدة وإلى الأبد (عب ٩:١٢ ؛ ١٠:١٤). وقد زاد جون وزلي مؤسس المثوديست في القرن الثامن عشر بأن موت المسيح كان كافياً لإرضاء الغضب الإلهي على البشرية (رو ٥:٩) [٢].

ورغم أن العالم المسيحي كله قبل نظرية الترضية كتفسير لعمل الله الخلاصي لاسيما وأن اللاهوتيين خلال أكثر من ثمانية قرون نجحوا في إثباتها بآيات كثيرة من الكتاب المقدس، إلا أنها تمثل نقصاً خطيراً في مفهوم الخلاص كما أعلنه الكتاب المقدس وكما شرحه الآباء:

أولا: نظرية الترضية المعتمدة على الفكر القانوني الغربي نجحت في تفسير غفران الخطايا ورفع العقوبة بذبيحة المسيح. إلا أنها لم تحل مشكلة البشرية الساقطة إطلاقاً، لأن الخطية – كما يشرح القديس اثناسيوس الرسولي في كتاب تجسد الكلمة – أحدثت تغييراً في طبيعة الإنسان وإلى وقوعه تحت سلطان الموت. ومجرد رفع حكم الموت دون تجديد طبيعة الإنسان وخلقته من جديد لا يعطيه الحياة الجديدة ويظل قابلاً للموت:

«وإن الفساد الذي حصل لم يكن خارج الجسد بل لصق به. وكان مطلوباً أن تلصق به الحياة عوض الفساد، حتى كما تمكن الموت من الجسد تتمكن منه الحياة أيضاً.. ولو كان الموت قد أبعد عن الجسد بمجرد إصدار أمر منه لبقي – رغم ذلك – قابلاً للموت والفساد حسب طبيعة الأجساد (٤٤:٤–٨) وكلام أثناسيوس هنا تعليم كتابي أصيل نراه في كلام القديس بولس الرسول «الذين هم في الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله» (رو ٨:٨)، «من ينقذني من جسد هذا الموت؟» (رو ٧:٢٤).

ثانياً: نظرية الترضية حصرت الفكر اللاهوتي في الأجيال التالية في صليب المسيح دون جميع الأوجه الأخرى لتدبير الله الخلاصي بما فيها عمل الإبن من تجسده إلى مجيئه الثاني، وعمل الآب وعمل الروح القدس.

الخلاف بين الكاثوليك والبروتستانت حول موضوع الخلاص

عندما ظهر دعاة الاصلاح البروتستانتي في القرن السادس عشر، ورثوا اللاهوت المدرسي العقلي عن الكاثوليك. وإذ قبلوا نظرية الترضية وجدوا أنها لم تترك مكاناً للكثير من عقائد الكنيسة. ومادام الخلاص قد تم على الصليب فلا يوجد أي حاجة لأسرار الكنيسة، ولا أي دور لذبيحة الأفخارستيا في القداس. كما أنه لا مجال لحرية الإنسان أو أعماله في موضوع خلاصه. وكان على الكنيسة الكاثوليكية أن تجيب على هذه الاعتراضات. وهذا ما فعلته في مجمع ترنت (١٥٤٥ – ١٥٦٣م) الذي نص على أن «التبرير ليس مجرد غفران الخطايا، بل يشمل أيضاً التقديس وتجديد الإنسان، وذلك بقبوله لعمل النعمة ومواهبها.» وعلى ضوء هذا التعريف وجد المجمع مجالاً لعمل الأسرار كواسطة لنعمة الروح القدس، كما أمكنه أن يفسر أهمية الأعمال في الخلاص، إذ أن الإنسان يحتفظ بحالة التقديس وينمو فيها بطاعة الوصايا وبالأعمال الصالحة. وأكد المجمع – وهو أحد المجامع المسكونية عند الكاثوليك – أن الخلاص قد يفقد بواسطة ما دعاه «الخطيئة المميتة» وفي هذه الحالة يمكن استعادته ثانية بسر التوبة.

وقد رد البروتستانت على ذلك منكرين أي استحقاقات للأعمال الصالحة (وهو التعبير الذي أدخله المجمع) ونادوا بعقيدة الخلاص بالإيمان وحده – إيمان بدون أعمال، وبلا حاجة لأسرار الكنيسة، وأنكروا ذبيحة القداس.

وفي التعليم البروتستانتي عن الخلاص نرى الفصل التام بين كلمتين كتابيتين – التبرير والتقديس. فالتبرير الذي هو عمل قانوني بحت، ويتم في لحظة – يرونه عمل النعمة الإلهية وحدها، وشرطه الوحيد هو الإيمان (يو ٣:١٤–١٦ ؛ رو ٣:٢٣–٢٨ ؛ غلا ٣:١١ ؛ ١بط ١:٩). وهذا الإيمان يتوقف على نعمة الله فقط وهو موهبة منه (أف ٢:٨). أما موضوعه فهو يسوع وحده (رو ٥:١٧ ؛ ١بط ٢:٤). وليس للمعمودية ولا للأعمال الصالحة أي دور في التبرير. ففي المعمودية – لدى البروتستانت – يغتسل الإنسان بعد تبريره، أما الأعمال الصالحة فهي نتيجة للتبرير وعلامة للخلاص وليست شرطاً لازماً له كما علّم الكاثوليك.

أما بالنسبة للتقديس (أو السيرة المقدسة) فقد علّم البروتستانت أنه عمل النعمة وحدها أيضاً، ونتيجة للخلاص،

ويعكس التبرير الذى يتم فى لحظة، فإن التقديس عملية مستمرة طوال حياة المؤمن. وقد علّم جون وزلى فى القرن الثامن عشر أن التبرير هو عمل المسيح، أما التقديس فهو عمل الروح القدس.

ونستطيع أن نوضح التعليم البروتستانتى ببعض اقتباسات:

«الرب يسوع بعد ما بذل نفسه وسفك دمه كفّارة عن الخطية، دخل بدم نفسه إلى قدس الأقداس. لذلك يشهد الله للمؤمن أن كل شئ قد انتهى وأن مسألته قد انحسمت نهائياً.. وليعلم كل الذين يرتابون فى غفران خطاياهم غفراناً إلهياً كاملاً أن ذلك يعد إنكاراً لكفاية ذبيحة المسيح...

«وكم من الناس ينظرون إلى عمل الروح فيهم عوضاً عن النظر إلى عمل المسيح لأجلهم، كأساس سلامهم... فدم المسيح هو الذى يعطى السلام والتبرير التام ويطهّر الضمير ويدخل بنا إل داخل الأقداس... وعليه تتوقف بركات المؤمن وأفراحه فى السماء» (رو ٣:٢٤-٢٦ ؛ ٥:٩ ؛ أف ٢:١٣-١٨ ؛ كو ١:٢٠-٢٢ ؛ عب ٩:٢٤ ؛ ١٠:١٩ ؛ ١بط ١:١٩ ؛ ٢:٢٤ ؛ ١يو ١:٧ ؛ رؤ ٧:١٤-١٧)...

«عمل الروح القدس فى الكنيسة لا يتم حتى مجئ الرب، وعمله فى المؤمن مستمر إذ يشفع فينا بأنات لا ينطق بها (رو ٨:٢٦).. كما أن خادم ابراهيم لم يتم عمله فى أثناء سفر رفقة لملاقاة اسحق إلا بعد وصولها إليه.. أما عمل المسيح لأجلنا فليس كذلك، إذ هو كامل وتام بحيث حق له أن يقول «قد أكمل»...

«الله قد تفرّد بأمر الفداء.. وما كان علينا إلا أن نقف وننتظر خلاص الرب.. ومجرد معرفة أنه خلاص الرب يدل على أن الإنسان لم يكن له دخل فيه بالكلية.. هذا الخلاص لم يشترك فيه الإنسان وإلا لما دُعى خلاص الله.. فكونه خلاص الله يقتضى أن لا يكون للإنسان يد فيه.» [٣]

أين التعليم الأرثوذكسى؟

مما سبق نلاحظ أن الكاثوليك والبروتستانت كانوا يجادلون من وجهة نظر واحدة وهى الوجهة القانونية التى اشتركا فيها معاً. وقد تطرف كل منهما فى ناحيته - لأن عقيدة الخلاص بالإيمان وحده لا تقل خطأ عن عقيدة استحقاقات الأعمال الصالحة. والواقع أن تعليم الخلاص بالإيمان لم يبدأ بالبروتستانت، بل أخذوه عن القديس أغسطينوس الذى فى محاولته الرد على بلاجيوس الذى علّم بحرية إرادة الإنسان وإمكانه القيام بالأعمال الصالحة دون تدخل النعمة، نرى القديس يتطرف فى الناحية الأخرى منكراً وجود أى حرية تذكر لإرادة الإنسان بعد السقوط.

كما نلاحظ أن كلاً من الكاثوليك والبروتستانت قد نجحا فى إثبات عقيديتهما من الكتاب المقدس، متجاهلين آيات أخرى استخدمها الطرف الآخر. وعندما اضطر اللاهوتيون الأرثوذكس خلال القرون الأخيرة إلى دخول ميدان المعركة (بسبب ضغط الإرساليات)، نسوا تقليدهم وتراثهم وأسلوبهم فى الحياة والتعليم، وسقطوا فى متاهات الجدل المنطقى الغربى (سواء كان بروتستانتياً أو كاثوليكياً) الذى اعتمد على العقل، وحوّل الكتاب المقدس إلى مجموعة آيات منفصلة الغرض منها إثبات عقيدة معينة، وليس كلمة الله التى نحيا بها. [٤] وحتى مفهوم الآباء الكتابى عن السقوط والخلاص نسيناه، واقتصرنا فى دراستنا على الناحية القانونية كما فعل الغرب. وأصبحنا نحاول عبثاً أن نبحث عن موقف الكنيسة الأرثوذكسية بالنسبة للأسئلة التى ابتدعتها العقلية الغربية: هل الخلاص بالإيمان وحده، أم بالإيمان والأعمال؟ إذا كان الخلاص قد أكمل بالصليب فما هو معنى القيامة؟ هل الأسرار لازمة للخلاص، ولماذا؟ ما هى أوجه الخلاف بين ذبيحة الأفخارستيا وذبيحة الصليب؟ نستطيع أن نجد عشرات من أمثال هذه الأسئلة وإذا ما قلّبنا كتب الآباء فلن نجد أنهم قد تعرضوا لإجابتها. وإذ نحاول نحن أن نجيب عليها من الكتاب المقدس ننتهى بأننا انحزنا إلى طرف أو إلى آخر. بل أن المتبع عادة هو استخدام ردود كل من الطرفين لنفحم بها الآخر.

إننا نحتاج أولاً أن ندرس تقليدنا الذى تسلمناه بشئ من الجدية - الكتاب المقدس، أقوال الآباء فى القرون الأولى، الليتورجيا. وعندئذ سوف نعرف أن هذه الأسئلة لا وجود لها، وهى خاطئة من أساسها. [٥]

أستطيع هنا فقط أن أعطى عرضاً موجزاً لتعليم الآباء الأوائل عن الخلاص:

أولاً: نظر الآباء إلى أكثر من الوجه القانونى أو القضائى للخلاص (أى غفران الخطايا). الخلاص هو عملية خلق جديدة للإنسان عبّر عنها الكتاب المقدس بأنها مشاركة للطبيعة الإلهية (٢بط ١:٤) ويلخصها القديس أثناسيوس الرسولى فى كتاب «**تجسد الكلمة**» فى عبارة واحدة «**لقد صار الكلمة إنساناً لكى نصير نحن إلهاً**» لقد فشل آدم فى الوصول إلى الهدف من خلقته فجاء المسيح - آدم الثانى - ليصل بالبشرية إلى هذه الغاية. «لأنه كما فى آدم يموت الجميع هكذا فى المسيح سيحيا الجميع» (اكو ١٥:٢٢). ولا يملّ أثناسيوس من أن يكرر فى كتاباته كيف أن الخطيئة أحدثت شيئين فى الإنسان - تغيير طبيعته، ووقوعه تحت طائلة الموت والفساد. وبالتالى فإن عملية الخلاص يجب أن تعالج المشكلتين. وهذا ما فعله السيد المسيح بتجسده إذ غيّر طبيعة

البشرية – خلقها من جديد – وحوّلها إلى طبيعة غير قابلة للموت. التجسد لم يعيد الإنسان إلى حالته الأولى فى الجنة فقط، بل حمله إلى رأس جديد هو المسيح وليس آدم (اكو ١٥:٢٢ ، ٤٥–٥٠).

ثانياً: لا يحدد آباء الكنيسة عمل المسيح الخلاصى بالصليب. ونرى ذلك كثيراً وعلى الأخص فى كتابات القديس أثناسيوس والقديس غريغوريوس الناطق بالإلهيات. فالخلاص هو عمل الإبن الكلمة وهو فى حضن الآب منذ الأزل (١بط ١:٢٠) وفى تجسده والحبل به (عب ١:٦ ؛ ١٠:٥) ومعموديته من يوحنا وصلبه وقيامته ومجيئه الثانى. اكتفى هنا بكلمات القديس غريغوريوس فى القداس الإلهى: «وباركت طبيعتى فيك» للدلالة على البركة التى أخذتها البشرية بمجرد تجسد إبن الله وأخذه لطبيعتنا. وبكلمات القديس اثناسيوس فى «تجسد الكلمة» (٩:٤)...

«كما أنه إن دخل ملك عظيم مدينة عظيمة واتخذ إقامته فى أحد بيوتها فإن هذه المدينة تتشح بالمجد والشرف.. كذلك مع ملك الكل إذا أتى إلى عالمنا واتخذ إقامته فى جسد واحد بين أترابه. فقد بطلت كل مؤامرة العدو ضد الجنس البشرى منذ ذلك الحين.»

وهذا تعليم كتابى صريح نراه على الأخص فى الرسالة إلى العبرانيين – وهى التى كشفت لنا الكثير عن أهداف التجسد وعن أبعاد ذبيحة الصليب، والتى أصرت على أن المسيح قد كمّل بالآلام (عب ٢:١٠ ؛ ٥:٩ ؛ ٩:٩) إلا أن عمله الفدائى لم يكمل إلا بصعوده ليجلس عن يمين الآب بطبيعتنا البشرية (عب ٤:١٤ ؛ ٦:١٩–٢٠ ؛ ٩:١٢،٤٢ ؛ ١٠:١٢ ؛ ١٢:١٢) وبمجيئه الثانى (عب ٩:٢٨ راجع أيضاً رو ١٣:١١ ؛ ١بط ١:٥) وتصر هذه الرسالة على أن المسيح وهو رئيس خلاصنا (عب ٢:١٠ ؛ ٥:٩ ؛ ١٢:٢) دخل إلى السماء كسابق لأجلنا (عب ٦:١٩–٢٠).

ثالثا: ولا يقصر الآباء التدبير الإلهى لخلاص الإنسان على أقنوم الإبن. لأن تعليم الكتاب المقدس الواضح أن الخلاص هو عمل الآب وعمل الروح القدس أيضاً، ولا يقتصر على عملية الفداء (التى تسمى تدبير الإبن). فخلاصنا هو مشيئة الآب السماوى التى جاء المسيح لينفذها (يو ٤:٣٤ ؛ ٥:٣٠ ؛ ٦:٣٨ ؛ عب ١:١ ؛ ٣:١–٦ ؛ ٥:٤ ؛ ٨:٢ ؛ ١٠:٥–٧) وللآب دور ايجابى فى هذا التنفيذ (لو ٢٣:٤٦ ؛ أع ٣:٢٦ ؛ عب ١٣:٢٠). وعمل المسيح الخلاصى هو فى نزوله من السماء ليعود ومعه البشرية وهو عمل لن ينتهى إلا عندما يصير الله الكل وفى الكل (١كو ١٥:٢٨). أما عمل الروح القدس فهو تقديس الإنسان ونموه فى العلاقة بالله إلى أن يصل إلى الاتحاد به. والتقديس جزء لا يتجزأ من الخلاص، وعمل لم يكن ممكناً إلا بالفداء. فالروح القدس لم يحل على البشرية إلا بعد صعود المسيح بجسده أو كما يقول أثناسيوس فى مقاله ضد الأريوسيين ''الكلمة اتخذ جسداً لكى ننال نحن الروح القدس. الروح القدس هو الذى يكمل عمل المسيح الفدائى. ويوّصل شركة اللاهوت لكل شخص، إلى أن نصل فى النهاية إلى التحقيق الكامل للخلاص حين يكون «الله الكل فى الكل». الطريق إلى محبة الله الآن نسلكه – حسب تعبير القديس أثناسيوس فى العبارة الأخيرة لكتاب تجسد الكلمة «بالمسيح وفيه ومعه فى الروح القدس» [٦].

رابعاً: بحث الآباء موضوع **الخلاص الفردى**: لقد أخذ الرب طبيعتنا الساقطة، وفى جسده دان الخطية، وقهر الموت، وصعد إلى السموات وجلس – بالطبيعة البشرية التى أصبحت طبيعة واحدة مع لاهوته – جلس بها عن يمين الآب، المكان الذى تحدث عنه ليلة صلبه «أنا أمضى لأعد لكم مكاناً وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً آتى أيضاً وآخذكم» (يو ١٤:٢–٣) وهو هنا لا يتحدث عن مجيئه الثانى لأن بولس الرسول يقول – وهو لا يزال فى الجسد – أنه «أقامنا معه وأجلسنا معه فى السماويات» (أف ٢:٦) هذا هو الخلاص الذى ناله المسيحيون فى كل زمان ومكان.. ولكن كيف نالوه؟

لقد رأينا كيف أن القديس أوغسطينوس فى القرن الخامس – وتبعه قادة البروتستانت فى القرن السادس عشر – قد أصر على ان الخلاص هو عمل النعمة وحدها، ويناله كل واحد بالإيمان. أما الكاثوليك فى مجمع ترنت فقد أضافوا شروطاً أخرى لهذا الخلاص الإلهى والتبرير المجانى (رو ٣:٢٤) – وهى الأسرار (كوسائل للنعمة) والأعمال الصالحة. أين هذا من كلام أثناسيوس «الروح القدس يكمل عمل المسيح الفدائى ويوصل شركة اللاهوت لكل شخص»؟ هذا هو التعليم الآبائى السليم المبنى على الكتاب المقدس والذى لا يفصل عمل الروح القدس عن عمل المسيح «لأنه يأخذ مما لى ويخبركم» (يو ١٦:١٤) لأن خارج المسيح الممجد عن يمين الآب لا يوجد خلاص، ولا يوجد طريق إلى قدس الأقداس السماوى خارج جسده الإلهى «طريقاً كرّسه لنا حديثاً حياً بالحجاب أى جسده» (عب ١٠:٢٠). الروح القدس هو الذى يجعل البشرية جسداً واحداً مع المسيح، ويجعل كل مؤمن عضواً فى هذا الجسد (أف ٥:٢٥–٣٢) هذا لا يتم بمجرد الإيمان بل بعمل الروح القدس فى المعمودية، حسب تعليم الكتاب «لأننا جميعنا بروح واحد أيضاً اعتمدنا إلى جسد واحد».(١كو ١٢:١٣). فى المعمودية يشترك المؤمن مع المسيح فى موته وقيامته:

«أم تجهلون أن كل من اعتمد ليسوع المسيح اعتمدنا لموته، فدفنا معه بالمعمودية للموت..» (رو ٦:٣–٤).

«مدفونين معه فى المعمودية التى فيها أُقِمتم أيضاً معه» (كو ٢:١٢).

المعمودية هى القيامة الأولى التى يبدأ بها المؤمنون حياتهم الروحية فيفقد الموت سلطانه عليهم ويصيرون كهنة لله والمسيح ويملكون معه (رؤ ٢٠:٤-٦). إلا أن المعمودية ليست سوى بداية الطريق الذى إذا لم نسلك فيه بأمانة قد نفقد الخلاص الذى نلناه بالمعمودية (مر ١٦:١٦ ؛ تيطس ٣:٥ ؛ ١بط ٢١:٣) فى هذا الطريق الذى يشمل الحياة كلها يستمر عمل الروح القدس فينا، الحياة الروحية هى الحياة فى المسيح وبقيادة الروح القدس، الروح القدس لا يعمل فى فراغ بل فى قلب الإنسان. هناك نوع من التعاون Synergia (١كو ٩:٣) بين الإنسان والنعمة الإلهية. ولكن ليس معنى ذلك أن الإنسان يشترك مع الله فى عملية الخلاص. دور الإنسان يقتصر على تقديم إرادته الحرة ليعمل الله فيه، هو فتح الباب ليدخل الرب (رؤ ٢٠:٣). هو رفع الحجر ليقوم الرب بإحياء جسده المائت. النعمة لا تفرض نفسها على الإنسان ولا تقوم وحدها بالعمل. الله يريد أن الجميع يخلصون، وعمله الخلاصى كاف وقادر على تخليص الجميع، ولا يعطل ذلك سوى إرادة الإنسان. لأن خلاص كل فرد واتحاده بالمسيح - كما عبّر أحد اللاهوتيين الأرثوذكسيين - يستدعى تعاون قوتين غير متكافئتين إلا أن كلاً منهما لازم وهما النعمة الإلهية والإرادة الإنسانية. [٨]

وعمل الروح القدس فى قلب المؤمن لا يقيد إذ شبهه الرب بالريح التى تهب حيث تشاء. إلا أن عمله يتجلى بصفة عامة ومتاحة للجميع فى التأمل فى كلمة الله (أع ٤٤:١٠)، وفى الأسرار الكنسية وعلى رأسها الأفخارستيا التى فى كل مرة فيها نعيش بالفعل ونشارك الخلاص الذى صنعه الرب فى تجسده وصلبه وموته وقيامته ومجيئه الثانى (١كو ٢٦:١١). الأفخارستيا هى عرس الحمل الذى فيه تتحد الكنيسة وكل نفس فيها بعريسها السماوى، وتنال أجسادنا فيها عربون القيامة باتحادها بجسد المسيح الذى انتصر على الموت بقيامته (يو ٥٣:٦-٥٤).

هذه هى الحياة التى نحياها فى الروح القدس تبدو مظاهرها وثمارها الطبيعية فى الفضائل المسيحية (غلا ٢٢:٥)، وفى حياة التأمل والصلاة، وفى حياة الخدمة.

وبهذا نرى فى وضوح الخلاص كخيط ذهبى يربط الكتاب المقدس من بدايته إلى نهايته، كما يربطه بالحياة الليتورجية فى الكنيسة. لقد حقق الرب الخلاص بتجسده، ونلنا عربونه بقيامة نفوسنا فى المعمودية حيث أخذنا عطية الروح القدس الذى يعين ضعفاتنا باستمرار (رو ٢٩:٨). بينما أخذت أجسادنا قوة القيامة باتحادها بجسد الرب فى الأفخارستيا - ومن انتظار ظهوره الثانى للخلاص للذين ينتظرونه (عب ٢٨:٩) - هذا الخلاص نعيشه فى الأفخارستيا. وإذ يدعونا الروح القدس والكنيسة للتناول «الروح والعروس يقولان تعال من يسمع فليقل تعال. ومن يعطش فليأت. ومن يرد فليأخذ ماء حياة مجاناً»، يجيب كل مؤمن «آمين. تعال أيها الرب يسوع» [٩] (رؤ ١٧:٢٢، ٢٠).

ملاحظات:

(١) تجسد الكلمة للقديس أثناسيوس الرسولى. ترجمة القمص مرقس داود ٤:٦-٩

(٢) نلاحظ فى كل من هذه النظريات استنادها إلى آية واحدة من الكتاب أُخذت فى غير معناها، كما نلاحظ تعارضها الصريح مع تعليم الكتاب بوجه عام فى أمكنة عديدة. كما نلاحظ دخول بعض هذه التفسيرات فى كنيستنا. وقد أشارت مجلة الكرازة منذ عدة سنوات إلى الخطأ اللاهوتى الموجود فى ميمر العبد المملوك الذى يقرأ فى بعض الكنائس يوم الجمعة العظيمة.

(٣) عن تشارلس ماكنتوش فى شرح الخروج - إصحاح ١٢، ١٣

(٤) راجع مقال: اللاهوت المدرسى وقصة دخوله إلى الكنيسة (راجع الرسالة - العدد السابق فبراير ٢٠٠٣)

(٥) خلال النصف الأخير من القرن العشرين قام كثيرون من اللاهوتيين وعلماء الكتاب المقدس والمتخصصين فى دراسات الآباء من مختلف الكنائس فى الغرب بدراسة هذا التقليد فأصبحت كتاباتهم تعبر عن روح الكنيسة الأولى. وبذلك سبقونا فى هذا المضمار، وجعلوا تعليم الكنيسة الأولى متاحاً للجميع.

(٦) نلاحظ أن القديس أثناسيوس الرسولى قد استخدم فى تعبيره عن عمل المسيح الخلاصى ثلاثة من حروف الجر اليونانية، وكل منها له دلالة لاهوتية عميقة تتضح من طريقة استخدامها فى الكتاب المقدس:

أ- فخلاصنا هو بالمسيح (Through) أى بواسطة عمله الفدائى لأجلنا (رو ٢٤:٣ ؛ ١كو ٢٠:١ ؛ كو ١٤:١)

ب- وخلاصنا فى المسيح (In) الذى دخل الأقداس كممثل وسابق للبشرية (١كو ٢٢:١٥ ؛ ٢كو ٢١:٥ ؛ غلا ١٧:٢ ؛ كو ١٠:٢ ؛ ٢تى ١٠:٢) كما أننا صرنا خليقة جديدة فى المسيح فى المعمودية (٢كو ٢١:٥ ؛ غلا ١٥:٦ ؛ أف ١٠:٢).

ج- وخلاصنا مع المسيح (With) نموت معه ونقوم معه (رو ٣:٦-٦ ؛ كو١٢:٢ ؛ ٢٠ ؛ ١:٣-٣) ونجلس معه فى السماويات (أف ٦:٢) - هذا الأخير هو الخلاص الفردى الذى يكمله الرب فى حياة كل مؤمن، وهو ما نتأمل فيه فى بقية هذا المقال.

(٧) لم يكن خطأ اللاهوتيين المدرسيين فى العصور الوسطى هو

تعليمهم بلزوم الأسرار وضرورتها للخلاص، بل كان فى فصلهم الأسرار عن عمل الله الخلاصى وجعلها شروطاً مستقلة ومضافة لهذا العمل.

(٨) Lev Gille, Orthodox Spiritually, p 23

(٩) هذه العبارة «ماران آثى» التى جاءت فى ختام بعض أسفار العهد الجديد (١كو ١٦:٢٢ ؛ رؤ ٢٢:٢٠). كان يُختم بها القداس الإلهى فى القرن الأول إذ نراها فى الديداك (تعاليم الرسل) كما نراها فى عدد من القداسات القديمة.

صدر باللغة الانجليزية

"تحويل أمريكا للإسلام"

المخططات الإسلامية والرد المسيحى

بقلم عبدالله العربى

هذا هو الكتاب الثانى عن الإسلام الذى كتبه عبدالله العربى. كان عنوان الكتاب الأول «الإسلام بدون حجاب»، وقد تُرجم إلى خمسة لغات وصدرت منه عشرة طبعات باللغة الانجليزية، وتم توزيع أكثر من ٤٠ ألف نسخة منذ ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

الكتاب الجديد «تحويل أمريكا إلى الإسلام» قد قُصد منه أن يكون أداة حيّة وفعّالة لمساعدة الأمريكيين فى فهم المخططات التى تُحاك ضدهم. إنه يعكس صرخة الكاتب فى تقديم ما يفتح عيونهم ويوقظ ضمائرهم إزاء هذا الخطر الذى يحدق بهذا البلد. هو أكثر من مجرد كتاب عن الإسلام. لقد قُصد منه أن يكون مرشداً لمن يعنيهم الأمر فى وضع خطة عمل تتحدى محاولات القضاء على الحضارة المسيحية قبل فوات الوقت.

بعض موضوعات الكتاب:

- كيف سيؤثر تطبيق الشريعة الإسلامية على قيمنا وأسلوبنا.
- سرد تاريخى للحركة الإسلامية للسيطرة على العالم منذ نشأتها فى القرن السابع الميلادى فى شبه جزيرة العرب وإلى أن وصلت إلى العالم الجديد فى القرن الواحد والعشرين.
- تفاصيل الخطط الإسلامية فى إغراء الفتيات والشبان المسيحيين وتحويلهم إلى الإسلام.
- الخطط المختلفة المستعملة فى نشر الدين الإسلامى.
- اقتراحات عملية لوقف المد الإسلامى لأمريكا والغرب.
- ١٢٠ صفحة – طباعة فاخرة – غلاف ملون – تجليد ممتاز.
- الأسعار (شاملة لتكاليف الشحن) :

١ نسخة	١٠ دولار.
٥ نسخ	٤٠ دولار.
١٠ نسخ	٧٠ دولار.

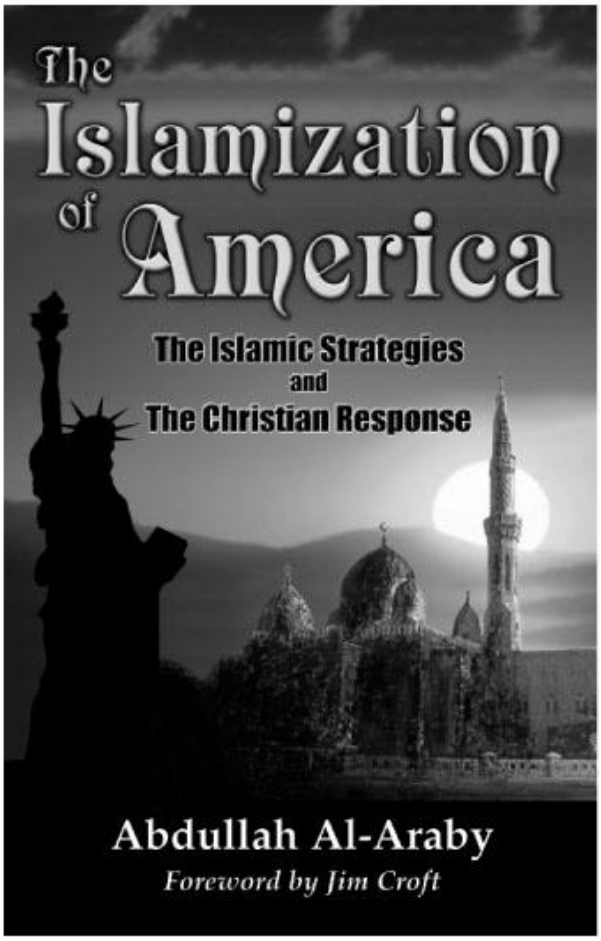

تخفيض خاص للجملة والكتب المطلوبة للكنائس والجمعيات.

ترسل الطلبات إلى:

The Pen Vs. The Sword

P.O. Box 661336, Los Angeles, CA 90066

البابا كيرلس السادس

البطريرك والمتوحد

بقلم الدكتور جون واطسون

الفصل الرابع - ٣

مجمع أديس أبابا – الجزء الأول

كان هيلاسلاسى رجلاً واسع الأفق إذ لاحظ أن هناك قدراً كبيراً للتعامل بين الكنائس الغربية غير الكاثوليكية، وخاصة الكنيسة الانجليكانية. وقد تأثر بتعاليمهم اللاهوتية العميقة وبقدرتهم على التعامل معاً بدون فقدان التقاليد المحلية. وفوق ذلك رغبتهم فى مواجهة مشاكل العالم المستقبلية. وقد شيّد جامعة ضخمة فى أديس أبابا وضمنها كلية للاهوت. وكان هدف الامبراطور من هذا المعهد أن يكون مركزاً لاهوتياً للأقباط والأرمن والأثيوبيين والسريان والهنود منهم. فأديس أبابا هى المكان الملائم الواضح لمقر مثل هذا. لأن الكنيسة الأثيوبية هى وحدها التى تقع فى قطر مسيحى. فالأرمن كانوا يواجهون ضيقاً مستمراً والاتحاد السوفيتى يحاصرهم بقوة فى ذلك الوقت. والهنود أقلية ضئيلة للغاية فى دولة مدنية. والسوريون كانوا تحت ضغط حزب البعث. والأقباط هم رعايا واقعون تحت الضغط العددى والعقائدى للإسلام. وكان الامبراطور يرغب فى قيادة أسرة الكنائس الأرثوذكسية الشرقية. ولعله كان متنبهاً للدور المثالى المتاح والمرغوب فيه للامبراطور المسيحى الوحيد فى قلب اتحاد كونفدرالى للأرثوذكس الشرقيين وفى لحظة حلم أخرى قرر هيلاسلاسى دعوة كل بطاركة الكنائس غير الخلقيدونية أو الكنائس الشرقية القديمة للاجتماع فى أديس أبابا فى يناير ١٩٦٥. وهذه الكنائس لها تراث رهبانى واحد وتشترك فى روحانية شرقية أرثوذكسية، وفى تعبدها لله من خلال القداس الإلهى. وهى جميعاً كنائس أرثوذكسية معترف بها، وبينها روابط عقائدية وتاريخية، ولكنها لم تتقابل أبداً معاً كأسرة، وحتى من التقى منها كمجموعة من اثنين أوثلاثة أو إنهم لم يفعلوا ذلك من قرون عديدة. إن فكرة الامبراطور كانت مثالية ولكنها واقعية. ولم يرفض أحد الدعوة وترأس البابا كيرلس ستة بطاركة حضروا اجتماع أديس أبابا فى ١٩٦٥ من ١٥ يناير إلى ٢١ منه. والبطاركة هم أغناطيوس يعقوب البطريرك السريانى لأنطاكية وكل الشرق، وباسيل كاثوليكوس

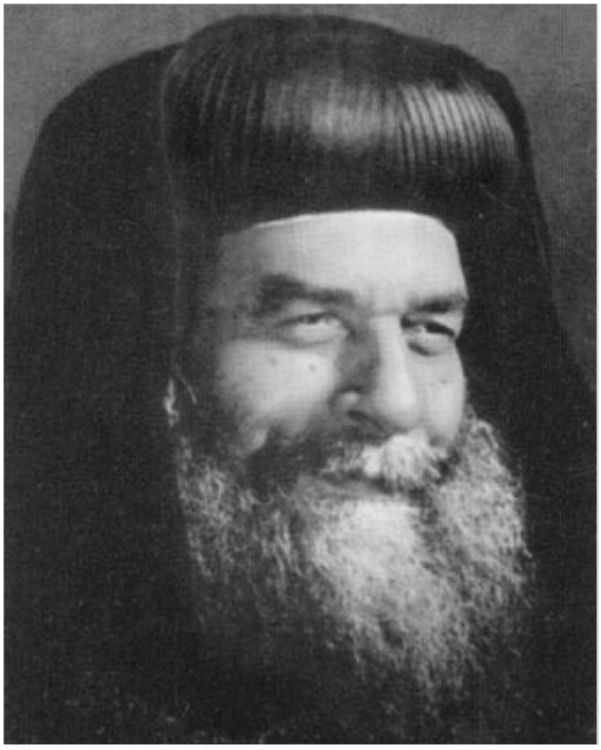

كرسى توما الرسول فى الهند، فاسكين الأول البطريرك الأعلى كاثوليكوس كل الأرمن، وأنبا خورين كاثوليكوس أرمن سيليسيا Cilicia، المضيف بطريرك جاثليق أثيوبيا، وغير هؤلاء فقد شارك رؤساء أساقفة من الكنائس الشرقية التقليدية. وقد أوضحت أعمال المؤتمر والنتائج التى انبثقت عنه أن الاجتماع قد سبق زمانه بوقت طويل. والقليل جداً من النتائج التى انتهى إليها الاجتماع على الورق هى التى أنجزت فى الواقع لأن معظم البطاركة القادة لم يطل بهم الأجل. فلم يتحقق إلا القليل من النتائج الملموسة منذ عام ١٩٦٥ ولكن نقطة التقاء الحاجات ومشاعر الوحدة معترف بها الآن كأمر له أهمية تاريخية للكنائس الأعضاء الذين ضمهم المؤتمر.

وقد أسف المؤتمر للهوة القائمة بين الكنيسة والمتعلمين وخاصة الشباب. وقد أكد ثانية أن الكتاب المقدس والآباء هما سبب الموالاة للأرثوذكسية فى الكنيسة غير المنقسمة. وأوصى المؤتمر بإعادة النظر فى ممارسة الأصوام.